

الثقافة والممارسة الثقافية

Culture and Cultural Practice

فاهم حنان*

طالبة دكتوراه مخبر حوار الحضارات والتنوع الثقافي وفلسفة السلم، جامعة عبد الحميد بن باديس

مستغانم، hanane.fahem.etu@univ-mosta.dz

تاريخ الاستلام: 2023/12/29 تاريخ القبول: 2024/02/07 تاريخ النشر: 2024/02/10

ملخص:

لا يزال الجدل قائماً حول إمكانية تحديد مفهوم الثقافة، فهو يمتد إلى مستويات متعددة، ليس فقط على مستوى الأفكار، وإنما يتعداها. وهو كذلك وإن أضحي اهتمام للباحثين والدارسين في العلوم الاجتماعية بشكل واسع، إلا أن هذا لا يجعل من الثقافة حكراً على علم دون الآخر. إذ تتمتع هذه الأخيرة باستعمال واسع، رغم غموضها وتعقيدها، نظراً لارتباطها الوثيق بالمجتمع الذي يتطلب دراستها ضمن سياقه. ذلك أن المصطلحان عند تعريفهما متلازمان ويتعذر علينا الفصل بينهما كوننا لا نستطيع أن نتخيل ثقافة لا يحتضنها مجتمع، ولا مجتمع بدون وجود ثقافة. فضلاً عن عدم وجود إجماع واتفاق على أصلها وكيفية دراستها، لتعدد المدارس التي خاضت في الموضوع ضمن أزمنة مختلفة. في هذه الورقة البحثية سنحاول معالجة محورين، نعتمد في أولهما على ماهية الثقافة، تعريفاتها وأسباب تعددها وبعض المصطلحات المرتبطة بها، ثم التطرق للاتجاهات التي تناولت هذا الموضوع، مركزين على المقاربة الأنثروبولوجية ومضيقين الزاوية على "إدوارد تايلور Edward Taylor" و"مالينوفسكي Malinowski". أما المحور الثاني فيخص الممارسة الثقافية، مركزين في ذلك على الهابيتوس والممارسة الثقافية عند "بيار بورديو Pierre Bourdieu".

الكلمات المفتاحية: الثقافة – الممارسة الثقافية – الهابيتوس – الجماعات – الحضارة.

Abstract:

This article navigates the ongoing debate about culture's controllability while admitting its critical role in comprehending society. Two major themes are investigated: the nature of culture and cultural practice. The former investigates various definitions, the logic behind multiplicity, and associated terminology, mostly via an anthropological lens, with a focus on "Edward Taylor" and "Malinowski." Moving on to cultural practice, definitions and types are investigated, with a focus on Pierre Bourdieu's concept of

habitus. This investigation emphasizes the inseparability of culture and society—culture thrives within the embrace of society, and society thrives with cultural presence. The paper adds ideas that resonate within scholarly discourse by emphasizing research gaps and providing a succinct yet comprehensive view on the multifaceted interaction between culture and society.

Key words: *culture - cultural practice – habitus- groups - civilization.*

مقدمة

يُعتبر مفهوم الثقافة من بين المفاهيم الأكثر تداولًا واستخدامًا في العديد من التخصصات، على الرغم من غموضه وتباين تعاريفه. يظهر هذا الاختلاف في عدم الاتفاق والإجماع على مفهوم شامل وواحد لتعدد المدارس التي استقصت الموضوع عبر أزمنة مختلفة. ولعل تضيق الزاوية والاقتراب في هذه الدراسة من الممارسة الثقافية كبعد، يسهل علينا التحكم فيها، خاصةً عند الخوض في أفعال الأفراد وسلوكهم كفاعلين منتمين إلى جماعة اجتماعية معينة. يتفاعلون فيما بينهم لإنتاج رموز ومعاني وتصورات وتمثيلات مشتركة. ومن هذا المنطلق، تُعتبر الممارسة الثقافية تجسيدًا للقيم والأفكار التي تتسم بالاستمرار النسبي، وتُعيد إنتاج أفعال ومواقف الأفراد داخل بنى ثقافية متعددة. وهذا ما يجعلنا نتساءل حول تعريفات الثقافة البارزة والتيارات الرئيسية التي خاضت في هذا الموضوع. وكيف أن مفهوم الممارسة الثقافية يرفع عنا اللبس والارتباك بعد تعريفها وذكر أنواعها وتحليلها من مختلف الزوايا التي اقترَب منها العلماء والباحثون الاجتماعيون.

1- سوسيولوجيا الثقافة:

1-1- في ماهية الثقافة:

"راجع اثنان من علماء الاجتماع، هما ألفريد كروبر *Alfred Kroeber* وكلايد كلوكهون *Clyde Kluckhohn* في أوائل الخمسينات، الدلالات المتنوعة لكلمة "ثقافة" وقرينتها "حضارة" فعثروا على 164 تعريفا لما قد تعنيه الكلمة. ومن المعروف أن الناقد الأدبي رايموند وليامز *Raymond Williams* أشار إلى أن كلمة "الثقافة" هي إحدى الكلمات الأكثر تعقيدا في اللغة الإنجليزية، لأنها تحمل الكثير من المعاني التي تتغير كثيرا مع مرور الزمن" (انغلز و هيوسون، 2013، صفحة 16)، مما يتركنا أمام حيرة لتعريفها لما تحمله من تأويلات من حيث الاختلاف والتباين "وهو ما جعل إدغار موران *Edgar Morin* يطلق عليها الكلمة الفخ ويصفها بأنها بداهة خاطئة، كلمة تبدو وكأنها كلمة حازمة والحال أنها كلمة فخ خاوية، منومة، ملغمة، مزدوجة، خائنة" (شابي جياف، 2021، صفحة 275).

وعند رجوعنا إلى هذه التعريفات نجد من يعرفها على أنها عملية من خلالها ينظم البشر (مالينوفسكي *Malinowski*)، مجموعة من الأفكار الاجتماعية (ماوتسيونغ *Mao Zedong*)، كما عرفت على أنها مظهر من مظاهر أي تطور تاريخي (ألفريد فيبر *Alfred Weber*)، ولعل أشهر تعريف للثقافة هو الذي قدمه (إدوارد برنت تايلور *Edward Burnett Tylor*) كمفهوم شامل له صيت عالمي والذي كان يعتمد عليه في جميع الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية بل مازال يعتمد عليه حتى يومنا حيث يعرفها بأنها "ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع" (كوش، 2007، صفحة 31).

وهذا التباين في التعاريف والاتجاهات مرده اختلاف المجتمعات تارة، ذلك أن لكل مجتمع ثقافته ولا نستطيع أن نتخيل أحدهما دون الآخر ومن جهة أخرى تعدد المدارس التي خاضت في موضوع الثقافة ضمن أزمنة مختلفة. هذه الأخيرة التي كانت كفيلة بتغيير تعريف الثقافة من طرف العلماء الذين منهم من اعتبر أن الثقافة هي الحضارة (civilization) باللاتينية "كما هي كلمة مأخوذة من agriculture إلى كلمة culture وتعني فلاحه الأرض" (خواني، 2021، صفحة 82)

أما في اللغة العربية وكما جاء في معجم لسان العرب "ثقف الرجل ثقافة، أي صار حاذقا حفيفاً، ورجل ثقف، أي حاذق الفهم والمهارة، وذو فطنة وذكاء، ويقال ثقف الشيء، وهو سرعة التعلم" (منظور، 2014، صفحة 492)

وبرجوعنا إلى إدوارد تايلور فكان عندما يطرح السؤال عن ماهية الثقافة، "كانت أشهر الإجابات وأكثرها تكاملاً، إجابته في كتابه "الثقافة البدائية" الصادر سنة 1871 والذي جاء فيه أن الثقافة هي "ذلك الكل المركب"../... وقد ظل هذا التعريف أشهر التعاريف وأكثرها ضبطاً لأكثر من نصف قرن"، (شابي جياف، 2021، صفحة 276) إلا أن "هذا التعريف، على وضوحه وبساطته، حرص على أن يكون وصفيًا وموضوعيًا خالصًا لا معياريًا. وهو فضلاً على ذلك، يقطع مع التعريفات الحصرية والفردانية للثقافة... إن الثقافة بالنسبة لتايلور تعبر عن كلية الحياة الإنسانية الاجتماعية، وتتميز ببعدها الجماعي. والثقافة أخيراً مكتسبة ولا تتأتى إذن من الوراثة البيولوجية. على أنها وإن كانت مكتسبة فإنها أصلاً وخاصياتها لا واعييين إلى حد بعيد" (كوش، 2007، ص 31).

فالثقافة بالنسبة لتايلور هي كل ما نتج عن الإنسان ويعتمد عليه كونه فاعل في البيئة التي يعيش فيها، وكل عناصر الثقافة التي وردت في تعريفه تكون ضمن الجماعة وتحوزها هذه الأخيرة عن طريق الاكتساب وهي ليست معطى طبيعي أو فطري للإنسان.

و"إلى أن تطورت العلوم والحركية العلمية التي ألقت المزيد من الأضواء على فهم الثقافة والدفع إلى تعريفات جديدة تعكس التحولات التي طرأت على ثقافة الإنسان وبالتالي على مفهوم الثقافة" (شابي جياف، 2021، ص 276). "فنجند الأنثروبولوجي مالينوفسكي *Malinowski* الثقافة عنده تشمل الحروف الموروثة والسلع والعمليات الفنية والأفكار والعادات والقيم، كما يرى أن الثقافة هي في حقيقة الأمر، كل ما يتعلق بعملية تنظيم البشر في جماعات دائمة" (يسعد شريف، 2016، ص 140) أو أنها كما يعرفها غرامشي *Gramsci* "المخزون الحي في الذاكرة كمركب كلي ونمو تراكمي مكون من محصلة العلوم والمعارف والأفكار والمعتقدات و الفنون والآداب والأخلاق والقوانين والتقاليد والأعراف والمدرجات الذهنية والحسية والموروثات التاريخية واللغوية والبيئية التي تصوغ فكر الإنسان وتمنحه الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تصوغ سلوكه العملي في الحياة". (صغير عباس ورياح، 2018)

ثم نجد مالك بن نبي في مؤلفه (مشكلة الثقافة) يذهب إلى أبعد من ذلك ويرى أن "الثقافة لا تعني الأفكار فحسب وإنما أسلوب الحياة في مجتمع معين، وثقافة أي مجتمع من المجتمعات هي

انعكاس للواقع الموضوعي لذلك المجتمع بكل ما فيه من ماديات ومعنويات.../ فهي بذلك جملة الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته" (يسعد شريف، 2016، ص 141).

وبكل هذه التعريفات نلاحظ أن الثقافة وإن اختلف مفهومها، ذلك أنها مرهونة بالتغير الذي قد يصيب المجتمع وبطور العلوم بكل اختصاصاتها والدارسين فيها باختلاف توجهاتهم وبيئتهم.

2-1- مصطلحات المرتبطة بالثقافة:

1-2-1- الحضارة:

لقد قام ألفريد فيبر Alfred Weber بالتفريق بين الحضارة والثقافة، هذه الأخيرة التي عرفها على أنها مجموعة من العناصر المشتركة بين الأفراد في زمن معين، أما الحضارة فهي بالنسبة له جملة من المعارف النظرية والتطبيقية المتناقلة بين الأفراد، أما علماء الاجتماع لم يبدوا أية رد فعل لتعريف Alfred Weber لغموضه بل أكثر من ذلك فإن الثقافة والحضارة تعتبر بالنسبة لعلماء الاجتماع على أنها وجهين لعملة واحدة (خواني، 2021، ص 82) ونجد منهم من لم يستعمل أبدا كلمة ثقافة كدوركايم *Durkheim* مثلا الذي لطالما استعمل مفهوم الحضارة ولم يكن يوظف كلمة ثقافة إلا نادرا (كوش، 2007، ص 44).

هذه الثنائية التي كانت ولا تزال موضوع نقاش للكثير من العلماء الذين نجد منهم من لا يجد بد في تفريقهما كمصطلحين ذلك أنهما يحملان نفس المعنى ومن جهة أخرى نجد علماء آخرون يجدون في الثقافة مفهوم كوني يغطي كل المجتمعات في جميع الحقب الزمنية على عكس الحضارة التي ظهرت بظهور المدينة

1-3-2- القيم الثقافية:

هي مجموعة المعتقدات الظاهرة أو الكامنة التي تظهر نتيجة عملية التأثر والتأثير بين الأفراد في البيئة التي يعيشون فيها، وتعمل القيم داخلها على تكريس هذا التفاعل، ذلك أنها الاطار المرجعي للفعل عند الأفراد وهي من تملي عليه اختياراته وقراراته (بن كعبة و مسعودي، 2018، ص

(183) كما تعتبر هذه القيم الصورة التي تعكس النموذج ثقافي لأي مجتمع، من عادات وتقاليد والطقوس والشعائر التي تمارسها بشكل (خواني، 2021، ص 87)

1-2-4- التغير الثقافي:

يشير التغير الثقافي إلى التغيرات المادية وغير المادية للثقافة، التي تتمظهر عند إضافة أو حذف أو تعديل في المركب الثقافي. ولعل هذا التغير يتسبب فيه العديد من العوامل كالاحتكاك بالثقافات الأخرى، والتكنولوجيا وما فرضته من وجوب استجابة عناصر ثقافة لها، إلا أن هذا التغير ليس مطلقاً فمن العناصر ما يستمر في أداء وظائفه بكفاءة دون تغير. (حمادي، ص 55)

"يبقى أن نطرح السؤال عن علاقة التغير الثقافي بالتغير الاجتماعي والإجابة تقتضي الإشارة إلى النقاش حول مفهوم ومضمون الثقافة وهو النقاش الذي كان يميز بين المظاهر المادية واللامادية للثقافة، ودراسة التغير الثقافي تقتضي فحص كلا المظهرين، حيث لا يمكن فصلهما، وبالتالي البحث في تأثير أحدهما في الآخر. و يكون التغير الثقافي هو ما يطرأ من تبدل في جانبي الثقافة سواء أكان مادياً أو معنوياً، إنه تغير يحدث في جميع نواحي المجتمع (اللغة، الفن، العادات والتقاليد) ... وعلى هذا يصبح التغير الاجتماعي جزءاً من التغير الثقافي " (خواني، 2021، ص 89).

1-2-5- التثاقف:

ينظر علماء الاجتماع إلى مصطلح التثاقف على أنها عملية تراكم معرفي يكتسبه الأفراد من خلال التفاعل المستمر مع الآخرين، فالتثاقف بالنسبة لهم يعبر عن مجموعة المعتقدات الناتجة عن الاحتكاك المباشر والمستمر بين ثقافات مختلفة، والذي ينتج عنها تغير في ثقافة أحد الطرفين أو كلاهما (بوغديري، 2017) في حين يقول الانثربولوجيون البريطانيون بأن " المثاقفة ليست سوى شكل من أشكال التغير الثقافي الذي ينشأ أيضاً لأسباب داخلية واستخدام المصطلح نفسه للتعبير عن ظاهرتي التغير الداخلي والتغير الخارجي". (قبايلي، 2009، ص 175)

1-2-6- المثاقفة:

"عن المثاقفة وعلاقتها بالثقافة، يمكن القول إن فعل المثاقفة حتمي الحدوث لأنه يعد مستحيلاً أن تعيش الثقافة في فضاءات مغلقة، لأنها قراءات متعددة للإنسان وما حوله، وبالتالي يصعب عليها أن تحيا ضمن نظام لغوي ورمزي بمعزل عن العالم وتغيراته الفكرية والعلمية والأدبية. وإذا كانت الثقافة تؤدي إلى قيام حضارة ضامنة استمرارها ونموها، فإن المثاقفة، تفاعل بين الحضارات على مستوى الثقافات" (بوزرزور، 2017، ص 214) "عندما نتحدث عن المثاقفة، تحيلنا الكلمة دائماً إلى عدة اتجاهات مختلفة، إنها أداة للاتصال وأداة للتداخل العلاقتي والتبادل

المعرفي وتشير إلى المفهوم الشامل لكلمة الثقافة، أي معرفة الأشكال والمعايير الحياتية التي يمتاز بها الآخرون، أشخاص أو مجموعات أو مجتمعات في علاقتهم مع الآخر ومعرفة العلاقات المشتركة بين ثقافة ما وثقافة أخرى، وهي ما يولد ويتأسس من خلال احتكاك بين مجموعتين أو أكثر، أي أنها تشير إلى ثقافة في حالة ولادة" (خواني، 2021، ص ص 92-93).

2- سوسيولوجيا الممارسة الثقافية:

1-2- تعريف الممارسة الثقافية:

تعتبر "الممارسة الثقافية" من المفاهيم الحديثة التي أخذت حيزاً لا يستهان به في علم الاجتماع بصفة عامة وعلم اجتماع الثقافة بصفة خاصة والتي ولدت مع ظهور المجتمع الاستهلاكي، الوقت الحر والثقافة الجماهيرية. يتصف بعدم الدقة والتعقيد لأنه من جهة يرتبط بالثقافة، الذي بدوره يعتبر من المفاهيم المعقدة والشائكة كما سبق وذكرنا ومن جهة أخرى يتداخل فيه البعد الاجتماعي والثقافي والسياسي والاقتصادي لذلك فقد تعددت التعاريف المتعلقة بالممارسة الثقافية.

عرفها بيار بورديو **Pierre Bourdieu** بأنها "جملة الأعمال و الأنشطة والأفعال التي يتم من خلالها اقتناء الخيرات الثقافية وتملكها واستهلاكها وهي تتجسد في ارتياد المتاحف والمسارح والسينما والمكتبات العمومية واقتناء الصحف والمجلات ومطالعتها وابتياح التحف الفنية واللوحات ومشاهدة البرامج التلفزيونية وكذا ممارسة الرياضة والسفر والاشتراك بالرحلات" (شابي، 2021، ص 281) وهنا يشير بيار بورديو **Pierre Bourdieu** إلى أن الممارسة الثقافية ليست مسألة اقتناء للخيرات الثقافية فقط بل يجب أن يملكها الفرد ويستهلكها. وينطلق من هذا التعريف ليؤكد فيما بعد بأن الممارسات الثقافية تعمل على التمييز بين الأفراد فهي ليست متشابهة عند كل الأفراد، فالحقل الثقافي يشغل كمنظومة المؤسسة على تدرج ينطلق من الأكثر شرعية إلى الأقل شرعية. كما أن الفكرة لا تقتصر فقط في كون أن الأفراد المنتمين إلى نفس الجماعة يمارسون نفس الرياضة على سبيل المثال بل وحتى أن أسلوب الممارسة يتشابه.

يرى غوفمان **Goffman** ، أحد رواد التفاعلية الرمزية، بأن الأفراد المنتمين إلى جماعة اجتماعية معينة يتفاعلون فيما بينهم لينتجوا رموزاً ومعاني وتصورات وتمثيلات مشتركة في ظل "طقوس التفاعل" ويتمثل دور هؤلاء الأفراد في إعادة إنتاج هذه الخصائص المشتركة عن طريق الممارسة الثقافية. ومن هذا المنطلق فالممارسة الثقافية تمثل القيم والأفكار والمعتقدات والتمثيلات

والمعاني والرموز والتي تتصف بالاستمرار النسبي وتعمل على إعادة إنتاج أفعال ومواقف الأفراد.
(بودبزة وشراد، ص 266)

وفي تعريف آخر للممارسة الثقافية يحلل منير سعيداني هذا المفهوم من خلال تلخيصه للنقاط التالية النقاط التالية : أولاً يشدد على أهمية مطالعة الكتب والمجلات والجرائد المختصة وصفحات الإنترنت في السياق الثاني يتعين التنويه إلى التفرج على برامج التلفزيون والاشتراك في القنوات والمشاركة في الألعاب والمسابقات التي ينظمها. من جهة أخرى يشير إلى الاستماع إلى الراديو والاستماع إلى التسجيلات الموسيقية. تأتي النقطة الرابعة في سياق الخرجات الفردية أو الثنائية أو الجماعية في نطاق مجموعة من الأقران أو زمالة العمل والدراسة للاستمتاع بفعاليات ثقافية متنوعة. وأخيراً يجدر بالذكر تعاطي الأنشطة الترويجية والانخراط في الجمعيات الثقافية والاجتماعية وممارسة الهويات الفردية أو الثنائية أو الجماعية. (شابي، 2021، ص 282). حاول منير سعيداني من خلال هذا المفهوم أن يجمع معظم النشاطات التي يقوم بها الفاعلين الاجتماعيين ويمارسون من خلالها ثقافتهم الخاصة بهم ونستطيع أن نأخذ على سبيل المثال معرفة خصوصية المجتمع من خلال تردده على مواقع الويب والذي يعتبر نوعاً من الممارسة الثقافية.

من جهة أخرى تعرف الممارسات الثقافية بأنها مجموعة النشاطات المعنوية منها والمادية ، سواء كانت جماعية أو فردية ولكن يشترط فيها بأنها تخضع إلى مجموعة من العلاقات تتمثل أساساً في علاقة الإنسان بربه، علاقته بالكون، علاقته بأخيه الإنسان وعلاقته بالطبيعة. والجدير بالذكر أن هذه العلاقات تخضع لنظم اجتماعية شاملة، وهي تعرف بأنها كليات ثقافية أساسية منظمة وهادفة حيث تنظمها قوانين وقواعد وقيم تكون جزءاً لا يتجزأ من النظام الاجتماعي تفرض نفسها اجتماعياً وفردياً . ويلقى الرأي العام دعماً رسمياً وغير رسمياً لتنفيذ هذه الكليات من خلال الهيئات الخاصة. (خواني، 2021، ص 92). والملاحظ أن هذا التعريف يتميز عن باقي التعريفات بأنه أولى أهمية إلى العلاقات المختلفة التي تتشكل من ورائها الممارسات الثقافية.

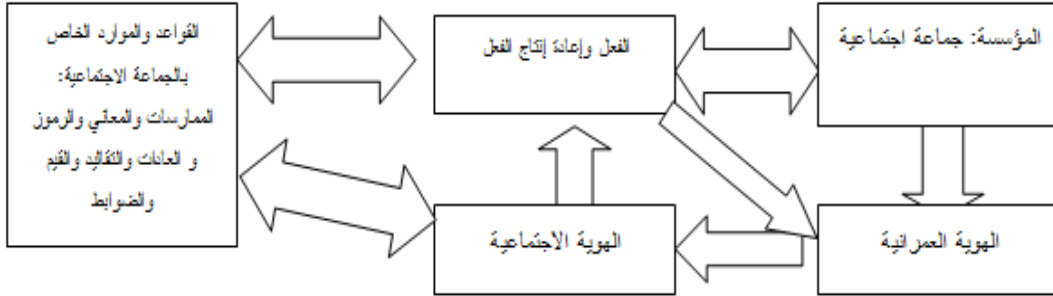
وفي تعريف وجيز وشامل عرفت الممارسة الثقافية "بأنها المعارف (perceptions) المشتركة الخاصة بكيفية تصرف الناس بشكل روتيني في الثقافة." (Frese, 2015, p. 1327) فالممارسات الثقافية تشترط الانتماء الاجتماعي ولا يحملها فرد لوحده لأن هذا الأخير حتى وإن أراد أن ينسلخ من ثقافته ويمارس ثقافة أخرى ستكون هاته الأخيرة خاصة بمجموعة ما تأثر بها بسبب ما يسمى بالثقافة الجماهيرية وتشير كلمة روتيني إلى استمرارية الممارسة الثقافية.

يشير ستيفن Stephen إلى أن مصطلح "ممارسة" يشمل السلوكيات والتصورات والمواقف البشرية المدروسة في بعدها الاجتماعي. لذلك سيكون أكثر عمومية من "السلوك" ، والذي يمكن

مقارنته من وجهة نظر معرفية أو نفسية. وعليه يعرف فيليب كولانجون *Coulangeon*, *Philippe* الممارسات الثقافية بأنها "مجموعة من أنشطة الاستهلاك أو المشاركة المرتبطة بالحياة الفكرية والفنية، والتي تشغل الميول الجمالية وتشارك في تعريف أنماط الحياة". (Mouad Stephen, 2014, p. 02).

في طرحه للممارسة الثقافية يتفق أنطوني غيدنز *Anthony Giddens* مع بيار بورديو *Pierre Bourdieu* في أن الفرد كفاعل في البيئة الاجتماعية هو وحده القادر على التأثير فيها من خلال أفعاله ويؤكد كذلك بأن البيئة بدورها تؤثر على ممارسات وأفعال الفاعل الاجتماعي بطريقة أو بأخرى فهو يرى بأن الجدال القائم بين الفعل و البنية (agency-structure) جدال لا ينتهي. وبناء على المخطط الذي رسمه ليوضح آلية تشكل الممارسة الثقافية في شكل دائري أظهر بأن "نقطة البداية هي الجماعة الاجتماعية المكونة من أفراد تحكمهم ممارسة ثقافية خاصة بهم، وتعمل هذه الجماعة على إنتاج نفسها من خلال ممارستها الثقافية التي تعطي لها هوية اجتماعية للجماعة والتي بدورها يكون لها تأثير متبادل مع المجال العمراني لأفراد هذه الجماعة". (بودبزة و شراد، ص 267)

مخطط رقم 01: يوضح آلية تشكل الممارسة الثقافية حسب أنتوني جيدنز



المصدر: بودبزة وشراد، مقال حول الممارسة الثقافية بين الهوية الاجتماعية و المجال العمراني (بودبزة و شراد، ص 267)

من خلال التعاريف التي تطرقنا إليها نستخلص بأن الممارسة الثقافية ما هي إلا مظهر من مظهرات الثقافة هذه الأخيرة التي لا تتجسد إلا بممارستها من قبل الفاعلين الاجتماعيين داخل النسق. وتشكل الممارسة الثقافية استنادا على مجموعة من القيم والمعايير المتفق عليها والأفكار والمعتقدات والتمثيلات والمعاني والرموز التي توجه وتحدد نشاط وسلوك وممارسات الفرد من خلال

مجموع الأنشطة والأعمال الفكرية والفنية التي يقوم بها ضمن مجموعة معينة ليعبر بها عن هويته وانتمائه الاجتماعي ونمط حياة معين وخصوصيته كما يستعملها الفرد للتميز والرقى الاجتماعي من خلال اكتسابه الرأسمال الثقافي كما سماه بيار بورديو وبذلك فهو يعيد إنتاج هذه الثقافة لضمان سيورتها.

2-2- أنواع الممارسة الثقافية:

يختلف تقسيم الممارسات الثقافية باختلاف الزاوية التي يتخذها الباحثين الاجتماعيين فبيار بورديو **Pierre Bourdieu** يرى بأنها تقسم إلى ممارسات "راقية أو شرعية" والتي تتمثل أساسا في مدى امتلاك الفرد لرأسمال الثقافي وهي تعبر عن موقع الفرد داخل السلم الاجتماعي فيتميز بها ويرتقي اجتماعيا. يعتبر بورديو **Bourdieu** رأسمال الثقافي عاملا مهما في التفريق بين الطبقات الاجتماعية بحيث تحافظ الطبقة المهيمنة على تميزها في ممارساتها الثقافية ويكمن منطق التمييز في الحفاظ على المسافة التمييزية لدرجة أنه إذا ما انتشرت ممارسة فإنها سوف تفقد سلطتها التمييزية ولذلك لابد من تعويضها ونذكر على سبيل المثال انسحاب الطبقات المهيمنة من ممارسة رياضة التنس بعد انتشارها. (بزاز، 2006-2007، ص 127). أما بالنسبة للنوع الثاني فيتمثل في الممارسات "الرديئة والشائعة" وغير الشرعية والتي تخص الفئات المهمشة والمنتمية إلى طبقات فقيرة مثل طبقة العمال والفلاحين وسكان الأحياء الشعبية فتتمظهر في سلوكياتهم وتعاييرهم وأنشطتهم. (المزوي، 2019). وبالتالي فان نظام التصنيف يعتمد على تسلسل هرمي يتراوح من الممارسات الأكثر شرعية إلى الأقل شرعية.

ومن هنا نستطيع أن ندرك بان تقسيم بيار بورديو للممارسة الثقافية كان يعتمد على العوامل التي ترتبط بالواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي. فهي تختلف من فرد لآخر ومن طبقة لأخرى وذلك لأنها على علاقة ب " بالمستوى التعليمي للأفراد و ما يحوزونه من ثقافة و ما يمتلكونه من رؤوس أموال مادية و رمزية و كذلك بمنحدراتهم الاجتماعية المتباينة التي تشترك كلها عن طريق التطبع في ترسيخ جملة من المؤهلات و الاستعدادات لديهم تمثل محددات لاختياراتهم الجمالية المتباينة." (شابي جياف، 2021، ص 281)

من زاوية أخرى تقسم الممارسات الثقافية إلى ثلاثة أنواع بناء على النقاط التالية:

✓ الممارسات الفردية: والمتمثلة في مشاهدة الأفلام، قراءة الكتب، المجالات والتردد على مواقع الانترنت وغيرها.

- ✓ الممارسات الجماعية: وتتجسد في كل الأنشطة الجماعية التي يقوم بها الفرد ضمن مجموعة مثل الرحلات، الانخراط في الفرق المسرحية والموسيقية، المشاركة في الملتقيات.
- ✓ الممارسات المرتبطة بالمؤسسة: حيث أن كل مؤسسة تتطلب ممارسات ثقافية تحترم خصوصيتها وقوانينها.

وبالتالي فإن الممارسة الثقافية تختلف باختلاف طبيعة كل ممارسة و الفضاء الذي تنشأ فيه.

حيث أنه يمكننا الاعتماد على الإحصائيات المقدمة من قبل قسم الدراسات لوزارة الثقافة الفرنسية لتصنيف الممارسات الثقافية والمتمثلة أساسا في الممارسات الخارجية والمرتبطة بالأنشطة الفنية وأخرى مرتبطة بالمنزل والحياة اليومية. (المزوي، 2019)

ونظرا لتأثير الثقافة الجماهيرية على الممارسة الثقافية للأفراد وتطور صناعة مواد الثقافة والترفيه فقد أصبحت الممارسة الترفيهية تختلف من فرد إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى ويعود ذلك إلى ثلاثة خصائص أساسية تتمثل في:

- ✓ الفضاء المكاني للممارسات: فهناك ممارسات تتم داخل المنزل وأخرى خارجه.
- ✓ وضعية الشخص أثناء النشاط: فإما أن يكون الفرد فاعلا أي مؤثرا أو متقبلا.
- ✓ اختلاف الغايات من ممارسة الأنشطة الثقافية و الأهداف: فهناك من يبحث عن التعبير عن الذات وهناك من يبحث عن التفاعل سعيا لتحقيق هويته وانتمائه الاجتماعي. (شابي، 2021، ص 280).

3-2- الهابيتوس والممارسة الثقافية :

يعرف الهابيتوس habitus عند بيار بورديو Pierre Bourdieu بأنه "نظام مخططات لتوليد الممارسات التي تعبر بأسلوب منهجي عن الحاجة الملحة والحرية الكامنة في ظروف الحياة الكلية لمجموعة ما وتعد الجوانب "المادية" و"الموضوعية" ل "العادات" هي الظروف الحياتية للمجموعة .../ وعمليات التنشئة الاجتماعية التي تجعل الأفراد ينتمون إلى تلك المجموعة." (انغلز و هيوسون، 2013، ص 243) والملاحظ أن الأفراد عندما يتشبعون بهذه العادات فهم يتصرفون ويفكرون بطرق مماثلة وحتى أن نشاط الفرد سيتناغم من حيث الأسلوب، فالفرد على سبيل المثال

يمارس الرياضة بأسلوب يشابه أسلوب الجماعة التي ينتمي إليها حتى أنهم يتشاركون في الذوق وعدة أمور أخرى. ولأن العادات تترسخ في أذهان الأفراد لدرجة كبيرة فهي تمنعهم بطريقة أو بأخرى من انتقادها بحيث يرون أنها "منطق سليم" ذلك أنهم يعتقدون بأن أذواقهم ونزعاتهم "حتمية وطبيعية" كونها تشكل جزءا من التنشئة الاجتماعية للعادات إلا أن بيار بورديو **Pierre Bourdieu** ينتقد هذه الفكرة ويجد أن هذا المنطق السليم ما هو في الأخير إلا معتقدات مشتركة مؤكدا بذلك أفكار رولان بارث **Roland Barthes** في أنه لا يوجد ما هو "طبيعي أو حتمي" لأن الأصل أن ما اكتسبه الأفراد من أذواق ونزعات يعود إلى العشوائية الثقافية التي يكون فيها الأفراد غير مدركين أن أذواقهم ما هي إلا نتيجة لتوجه اجتماعي يترسخ عبر التنشئة الاجتماعية. (انغلز وهويسون، 2013، ص ص 244-245) "وبما أن الهابيتوس (العادات) هي التي تنتج الأذواق فهي متجذرة في جانب اللاوعي، ولكن هذا لا يعني أنها لا تتمتع بحيز في اللاوعي" ومن هذا المنطلق يعتبر بيار بورديو أن أفعال الأفراد ليست نتيجة لقرارات اتخذها الفرد بوعي كامل ولا هي نزعات فرضتها البنى الاجتماعية بغير وعي تماما وإنما هي أفعال أنتجت على مستوى شبه واع. ولوصف هذا الوضع يستبدل بورديو كلمة أفعال بـ "ممارسات" فالأفراد في ممارساتهم يكونون مدركين وغير مدركين في الوقت نفسه لنتائج أفعالهم، فهم يمارسون النزعات التي تفرضها عليهم العادات وفي الوقت نفسه يوائمون بين ما تفرضه العادات والظروف الاجتماعية التي يجدون أنفسهم يعيشون في ظلها" (انغلز و هويسون، 2013، ص 246). "لهذا يفترض بالهابيتوس أن يستوعب طريقة تشكيل الظروف الاجتماعية لأفعال الأفراد فضلا عن إثبات أن الأفراد ضمن حدود معينة قادرون على الاستجابة بطرق إبداعية للظروف التي يرون أنفسهم في ظلها" (انغلز وهويسون، 2013، ص 243).

الخاتمة:

رغم تعدد المفاهيم والاتجاهات التي عرفت وخاضت في موضوع الثقافة لارتباطها بعدة عوامل ومتغيرات جعلت منها مفهوما زئبقيا، ورغم عدم اتفاق وإجماع علماء الاجتماع والانثروبولوجيا على تحديد تعريف دقيق وشامل لهذا المصطلح إلا أن الثابت أنها تبقى مكتسبة ومنتج الانسان وترتبط في خصوصيتها بمجموعات ضمن مجال جغرافي وزمن معينين. أما بالنسبة للممارسات الثقافية والتي هي الأخرى حظيت بدرجة من التعقيد شأنها شأن الثقافة، إلا أن الثابت فيها (الممارسة الثقافية) ذلك التمظهر الذي لا يتجسد إلا بعد ممارستها من قبل الفاعلين الاجتماعيين داخل النسق ليعبروا عن ذاتهم وهويتهم التي تترجمها مجموعة الأنشطة والأعمال الفكرية والفنية التي تستند إلى مجموعة من القيم والمعايير المتفق عليها.

قائمة المراجع:

- ابن منظور. (2014). *معجم لسان العرب*. دار المعارف.
- بزاز، عبدالكريم. (2006-2007). علم اجتماع بيار بورديو. *دكتوراه العلوم*. قسنطينة، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، الجزائر.
- بن كعبة، محمد ومسعودي، احمد. (2018). *سوسيولوجيا القيم قراءة في علاقة القيم بالفعل الاجتماعي*. *مخبر الدراسات الاجتماعية والنفسية والانثربولوجية*. 04 (01)، 182-189.
- بودبزة، الناصر وشراد، محمد. (2015). *الممارسة الثقافية بين الهوية الاجتماعية و المجال العمراني- دراسة ميدانية لبعض مناطق ولاية ورقلة*. 265-271.
- بوزرزور، سارة. (2017). *الترجمة والمثاقفة*. *مجلة البدر*، 9 (7)، 206-242.
- بوغديري، كمال. (2017). *الثقافة من الحوار إلى الاستلاب الحضاري*. *مجلة العلوم الانسانية* (46)، 167-178.
- جياف، صلاح الدين شابي. (2021). *الثقافة والممارسة الثقافية : نحو بناء مقارنة مفاهيمية*. *مجلة مدارات تاريخية*، 02، 273-287.
- حمادي، محمد. *التغير الثقافي وأثره على المظاهر الثقافية للمدينة*. *مجلة الحوار الثقافي*، 01 (01)، 50-57.
- خواني، خالد. (2021). *مفاهيم الثقافة والمصطلحات المرتبطة بها*. *مجلة القاريء للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية*، 04 (03)، 81-95.
- دافيد، انغلز وجون، هيوسون. (2013). *مدخل الى سوسيولوجيا الثقافة* (الإصدار 01). (ترجمة لما، نصير) بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

- دنيس، كوش. (2007). مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية. (الإصدار 1). (ترجمة منير سعيداني) بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

- صحراوي، يسعد شريف. (2016). مسألة الثقافة في الجزائر بين الهوية والاندماج. *المجلة الجزائرية للسياسات العامة* (09)، 163-137.

- صلاح الدين شابي جياف. (2021). الثقافة والممارسة الثقافية: نحو بناء ممارسة ثقافية. *مجلة مدارات تاريخية*، 03 (02)، 287-273.

- عباس، فريدة صغير ورياح، رضوان. (2018). صراع القيم بين الثقافة المحلية والثقافة الافتراضية في ظل الفضاء السبراني. *مجلة البدر*، 10 (11)، 1431-1420.

- قبائلي، عمر. (2009). المنطلقات النظرية لظاهرتي التثاقف والانتشار الثقافي. *مجلة الادب* (15)، 185-173.

- المزوغي، بلال. (31 05, 2019). الثقافة و الشباب و الممارسة الثقافية (مدخل مفاهيمي).

تاريخ الاسترداد 19 4, 2022، من بوابة علم الاجتماع. https://www.b-sociology.com/2019/05/blog-post_31.html

- Frese, M. (2015, August). Cultural Practices, Norms, and Values. *Cross-Cultural Psychology*, 1327-1330.
- Mouad Stephen, H. (2014, May). Les pratiques culturelles des jeunes Libanais dans l'usage des medias sociaux: Observations et Pistes de Recherche. 1. universite libanaise.